

والتفقد هو تعرّف فقدان الشيء حين فقده لماذا فقد، ولمكان ﴿الطَّيْرَ﴾ ككل لم يكن تفقده يختص بالهدهد، بل يشمل جنود الطير كلها، فلما لم ير الهدهد من بينها ﴿فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ...﴾ مما يدل على أن سائر الطير كانت حاضرة لديه وهو يراها - بما فيها سائر الهداهد المجنّدة - إلا أن تُعنى غُيَّب آخرون من ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ - ولكنه هنا يعني الهدهد الخاص، المعين لنوبته في ذلك العرض.

وقد يلّمح ذلك التفقد لمدى اليقظة والدقة والحزم من سليمان في عرض جنوده، حيث لا يتغافل عن جندي واحد من حشره الضخم الهائل من الجن والإنس والطير، الذي يوزع جمعاً لأوله إلى آخره وآخره إلى أوله كيلا يتفرق ويتتكتث.

وليدرس قواد الجنود من سليمان درسهم في هذه المراقبة التامة والتفقد الشامل، تحكيماً لعرى التجنيد، دونما تغلّب ولا تُلُفت.

﴿فَقَالَ﴾ هنا قولة جاهرة أمام الجيوش، ليعلم الجميع ويعرفوا غائبهم، فلو أسرّه أم أجمل شأن الغائب لكان سابقة سوء لكل الجند إذ لا يُعرف المتخلف بعينه، ﴿فَقَالَ مَالِكٌ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ...﴾ ونراه هنا لا يوجه التخلف إلى ﴿الْهُدْهَدَ﴾ حين يتفقده فيفقده، أخذاً بالحائطة متهماً نفسه: ﴿مَالِكٌ﴾ كأنه حاضرٌ وهو لا يراه لنقص في رؤيته، أم حاجز عن مرئيه، فلما تأكد من سلامة نظره، انتقل إلى مرحلة ثانية ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ وقد تلمح «كان» للغياب عن الحضور في حشر الجنود، إنه ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ عن الحشر، لا إنه غاب بعد الحضور، وإلا لم يكن له «كان» مكان.

كما قد يلّمح جمع ﴿الْغَائِبِينَ﴾ أن هناك غُيَّباً غير الهدهد، أمن الجن أو الإنس أو الطير أم ومن الهداهد؟ لا ندري، إلا أن هناك «غائبين» وعِلّ تخصيصه التحذير بخصوص هذا الجندي الغائب، كان لحاجة حاضرة إليه،

وقد تكون دلالته على موضع الماء كما يروى^(١) ولأن الغائب عن حشر الجنود دون إذن يؤدّب كيلاً يكرر غيابه وينتبه الآخرون ف: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ مما يلّمح ثانية أن الحاجة إليه كانت مدقعة حيوية لصالح الجنود، وقد يعني شديداً العذاب نتف ريشه^(٢)، وأشد منه ذبحه، أو

(١) نور الثقلين ٤ : ٨٣ في بصائر الدرجات بسند متصل عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك أخبرني عن النبي ﷺ ورث النبيين كلهم؟ قال لي: نعم، قلت من لدن آدم إلى أن انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلّا ومحمد ﷺ أعلم منه، قال قلت: إن عيسى ابن مريم كان يحيي الموتى بإذن الله؟ قال: صدقت - قلت: وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير هل كان رسول الله ﷺ يقدر على هذه المنازل؟ قال فقال: إن سليمان قال للهدهد حين تفقده وشك في أمره ﴿مَا لَكَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَكَايِينِ﴾ [النمل: ٢٠] فغضب عليه فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٢١] وإنما غضب عليه لأنه كان يدلّه على الماء، فهذا وهو طير قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين المردة له طائعين ولم يكن يعرف ما تحت الهواء، وإن في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر الآن إلى أن يأذن الله به مع ما يأذن الله مما كتبه للماضين جعله الله لنا في أم الكتاب إن الله يقول في كتابه: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥] ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] فنحن الذين اصطفانا الله فورثنا هذا الذي فيه كل شيء.

وفيه عن تفسير القمي قال الصادق عليه السلام قال آصف بن برخيا وزير سليمان لسليمان عليه السلام: أخبرني عنك يا سليمان صرت تحب الهدهد وهو أخس الطير منبتاً وأنتنه ريحاً؟ قال: إنه يبصر الماء وراء الصفا الأصم، فقال: وكيف يبصر الماء من وراء الصفا وإنما يوارى عنه الفخ بكف من تراب حتى يؤخذ بعنقه؟ فقال سليمان: قف بأوقاف أنه إذا جاء القدر حال دون البصر. وفيه عن المجمع وروى العياشي بالإسناد وقال قال أبو حنيفة لأبي عبد الله عليه السلام: كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى أحدكم الدهن في القارورة فنظر أبو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يضحكك؟ قال: ظفرت بك جعلت فداك، قال: وكيف ذلك؟ قال: الذي يرى الماء في بطن الأرض لا يرى الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا نعمان أما علمت أنه إذا أنزل القدر أغشى البصر؟

(٢) ومن العذاب الشديد إيداعه القفص، والتفريق بينه وبين إلفه، وإلزامه صحبة الأضداد، أو خدمتهم أو خدمة الأقران.

وفي البحار ١٤ : ١١٢ عن تفسير القمي في سرد القصة وقال الصادق عليه السلام ... لأعذبه عذاباً شديداً: لأنتفن ريشه.

عذابه هو ما دون ذبحه في الشدة كأن يلقي بعد نتف ريشه في الشمس بين النمل ويقرن بالأضداد.

ولكن سليمان لم يكن ملكاً جباراً يحكم دون حجة، ولمّا يسمع حجة الهدهد الغائب، ولا حُكْمَ على الغائب، فلذلك يبذل تهديد العذاب والذبح بـ ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنَّ سُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ فما لم يأت بسلطان مبين فالحكم كما حكم لأنه عصي..

وترى الهدهد هو من المكلفين حتى يعصي أمراً فيهدّد بشديد العذاب؟ بصورة عامة نعم! فيما يرجع إلى حيونة الشعور بالمحبور والمحذور: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾^(١) ولا يعني حشرهم يوم الحشر إلا جزاءهم بما عملوا فضلاً وعدلاً.

ثم بصورة خاصة حين يأمر النبي حيواناً أو ينهاه بأمر الله، وهو يشعر مكانة النبوة ويعرف الله فهو - إذاً - مكلف في ذلك الحقل، مهما لم تشملته الشرعة الإلهية العامة للمكلفين.

فآية الأنعام في وجهة عامة، وآية النمل هذه في وجهة خاصة برهان قاطع لا مرد له أن الهدهد كسائر الجنود من الطير والجن والإنس كان من المكلفين في حقل التجنيد، مهما اختصت الشرعة الإلهية ككل بالجن والإنس وأضرابهما من ذوي العقول.

وسلطان مبين من الهدهد الذي يخلصه من شديد العذاب، هو الحجة التي تبين عذره أن ﴿كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾.

وفائدة أخرى من ذلك التهديد السماح في تأديب الحيوانات إذا عصت

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

عارفة ولحد القتل، إلا أن تتبين حجةً تعذرها فيما عصت، وعدم السماح في إيدائها دون تقصير، قصوراً أم بغير قصور، فقد يعمل الحيوان خلاف رضاك وهو لا يعرف رضاك فكيف تعذبه بقصوره، إلا تنبيهاً لكيلا يكرر فعلته شرط أن ينتبه.

فحين تضرب حمارك العاصي في مشيته، وقد عرّفته واجبه في مشيته، فما أنت - إذاً - بظالم، إنما أنت مؤدب تأخذ حقك ممن تنفق عليه، وأما إذا لم تنفق عليه واجب النفقة فله العصيان في واجب الخدمة، أم إذا لم تعرّفه واجبه، فلا ضرب هنا وهناك إذ لا تخلف تقصيراً عن واجب الخدمة، وضربتك هنا وهناك ضربة ظالمة تعاقب بها وقت المعاقبة.

فحذار حذار عن ظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله، فإنه من أظلم الظلم وأنكاه، أم كيف تظلم من سخره الله لك، وذلك مس من كرامة الله، فلتكرم حيواناً هو تحت إمرتك، ولتنفق عليه ما يقيم أوده، ويقوى به على واجبه، ولتعف عنه ما وجدت إليه سبيلاً، ثم تأديبه تقصيراً عن خدمة أم تعدياً عليك.

عليك أن تراعي الحيوان كما الإنسان، بل والحيوان أحرى برعايتك إذ لا يقدر - في الأكثر - على الدفاع عن نفسه، فلا تغتنم سلطتك عليه أن تعتدي عليه.

وهكذا ندرس في مدرسة الإحرام أن ظلم الحيوان حرام أياً كان، إلا ما تستثنيه شرعة العدل وقضية العقل.

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحْطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيَّ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ :

هل إنه ﴿فَمَكَثَ﴾ سليمان، فإنه ثبات مع انتظار ولم يكن إلا لسليمان، والهدهد كان ناظراً للرجوع دون مكوث؟ أم ﴿فَمَكَثَ﴾ الهدهد في تفتيشه عن سبأ وهو بانتظار الرجوع خوفاً من سليمان أن يؤنبه أو يعذبه؟ والمعنيان

يناسبان أدب اللفظ والمعنى، فهما - إذاً - معنيان، تقريباً للأول لسابقه سليمان موضوعاً للقصة، وللثاني للاحقه: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ...﴾.

و﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ هو في زمن قريب لمكث سليمان والهدهد، وغير بعيد أن تعني مكث الهدهد بعد رجوعه ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ عن موقف سليمان، إذ لم يكن يخافه لغيابه وله حجته وهو عدل لا يجور، وقد يعني بُعدي الزمان والمكان، وفي الثاني يخص مكث الهدهد والأول يعنيهما، إذاً فقد يعني من ﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ مثَّلت المعنى وهو غير بعيد.

﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...﴾ مفاجأة - بداية لقاء سليمان - تطغي على موضوع غيابه، وتكسر من حدة الغضب الملكي بغيابه، حيث يترفع عليه علماً بما جهل وحيطة بما لم يحط به.

وكيف تحيط الهدهد علماً بما لم يحط به سليمان وهو نبي معصوم؟ ذلك حيث العلم المحيط ككل مختص بمن يحيط بكل شيء، ثم الحيطة بما لا صلة له لازمة للرسالة ليست لزام الرسول، فلله أن يعلمه مثل الهدهد دون الرسول، وقد يروى أنه «سئل علي عليه السلام وهو على منبر الكوفة عن مسألة فقال: لا أدري، فقال السائل ليس مكانك هذا مكان من يقول: لا أدري، فقال عليه السلام: بلى والله هذا مكان من يقول: لا أدري، وأما من لا يقول ذلك فلا مكان له، يعني به الله^(١).

فقد كان المسؤول عنه بين ما يختص علمه بالله، أم لا صلة له بالرسالة والإمامة.

﴿... أَحَطْتُ... وَحِثُّكَ مِنْ سَبِيلِ بَنِي إِقِينٍ﴾ وقد سميت سورة من القرآن بسببها، حيث اختصت بهم آيات سبع منها، طياً لدورهم الحائر وكورهم البائر في دركاتهم السبع من نوازل البلاء بعد منازل الترح والخيلاء.

(١) تفسير روح المعاني ١٩: ١٨٨.

ونبأ سبيل اليقين هو خبر ذو فائدة عظيمة رسالية لسليمان لتصل دعوته إلى هؤلاء الضالين الساجدين للشمس من دون الله .

وتراه كيف يصدّق في دعواه - وبين الشام واليمن مسيرة شهر أو أكثر - يصدّق أنه طار في مكثه غير بعيد مسيرة شهرين في سفرته المرجّعة إلى اليمن ومنه إلى الشام؟ إنه حريّ به أن يحتمل صدقه كما ﴿قَالَ سَنْظُرُ . . .﴾ حيث المجال مجال خوارق العادات، فما قاله النملة الحكيمة العاقلة وتفهم سليمان بأقل عجباً من هذه السفرة الطائلة، ولا تجنّد الطير له والجن بأقل خارقة منها .

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) :

﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ هي الملوكية المطلقة العنان وكأنهم عبيدها، وقد تعني ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ الملك والمُلك معاً، فإن عنى المُلك أتى بلفظه الخاص «امرأة ملكة» فقد عنى الأمرين وذلك أنحس استبداد واستعباد .

فالسلطة المالكة للشعب هي الاستبدادية كما تؤيدها ﴿وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ﴾ مهما دلت ﴿أَفْتَوْنِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ على لون من الشورى الملكية، إلا أن ﴿فِي أَمْرِي﴾ هي أمر السلطة المتأرجفة بما هددها سليمان، فاضطرت إلى استفتائهم، ولا تدل ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ بعد ﴿مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ إلا على أنها كانت تقطع أمورها برأيها على مشهدهم ومرآهم، وعله دون شورههم وهواهم كما هو طبيعة الحال في الملكية، وقد تعني «تشهدون» شهودهم لقطع أمرها كرئيسة للشورى، ولكنها لها أمرها فيها إلا أن تقنع بعدم صلوحه لحقل الحكم، كما في قصتها الحاضرة إذ لم تقبل آراءهم وخطأهم فيما رأوا .

﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ هي بمناسبة ﴿تَمْلِكُهُمْ﴾ ليست إلا من كلّ

الأشياء الملكية، دون ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ لداود وسليمان فإنها بمناسبة الملكية الرسالية هي من لزامات السلطة الرسالية من خوارق العادات.

﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ ما يدل على عظمها في سلطتها الملكية، فهو عظيم في كونه، عظيم في كيانه السلطوي على شعبها، فما العرش إلا رمزاً للسلطة الملكية، وقد خص بالذكر بين الحزم الملكي وثراء وسعته وجنوده المجندة ورعيته المطيعة المملوكة، لأنه يكفي إشارة نموذجية إليها كلها.

ومملكة سبأ واقعة جنوبي الجزيرة باليمن، وقد كانت في تلك الفترة تملكها امرأة:

﴿وَجَدْتُنَا وَقَوْمَنَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ (٢٤):

وتراهم حين ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إذا فهم قاصرون في ضلالهم حيث يخلي الله بينهم وبين الشيطان ليزين سوء أعمالهم فيحسبونها حسنة، فهم - إذا - مصدودون عن سبيل الله ولذلك لا يهتدون؟.

ولكن الشيطان لا يقدر على ذلك التزيين والصد إلا لمن يطيعه تخلفاً عن الهدى، وتجلباً إلى الردى ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ (١) والشيطان يزيدهم ضلالاً على ضلالهم ثم الله لا يحول بينه وبينهم جزاءً وفاقاً لما ضلوا وهم مبصرون ﴿وَمَنْ يَعْتَسِ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٢٦) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٧﴾ ﴿وَقِصْنَا لَهُمْ قُرْآنًا فَرَيْنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ...﴾ (٣).

(١) سورة الصف، الآية: ٥.

(٢) سورة الزخرف، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٥.

ولقد كان الهدهد يعرف الله والشيطان والشمس والملكة وقومها، ونظر إلى جو المملكة فوجد ما وجد، وأنبا سليمان كما وجد، مما يدل على عقلية بارعة مؤمنة للهدهد، وسليمان يسمعه دونما مهانة له ولا استصغار، على صغاره وعظم نبئه وخارقه سفره! مما ينبئ السلطات الملكية أن الإصغاء إلى المنبئ أدب بارع مهما كان صغيراً وكان نبأً غريباً مُحيراً وبعيداً عن التصديق، وهو في نفس الوقت متخلف لغيابه دونما استئذان! . وهنا بعد عرض النبأ يلحق تلحيقاً رسالياً كأنه رسول أو مرسل من جانب الرسول:

﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ (٢٥) **اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴿٢٦﴾ :

فإن كانت الشمس تُخرج بعض الخبء إشراقاً عليه من ظلمة، فالله يخرج كلَّ خبء في السماوات والأرض دون إبقاء، والشمس أيضاً من خبئهما حيث أخرجها من دخان السماء وأشرقها! .

ومهما نحتمل أن الآيتين هما من كلام الله دون نقل لكلام الهدهد، حيث السجدة واجبة عند سماعه أو استماعه أو قراءته، ولكنه يناسب وكونه كلام الهدهد، لأنه على أية حال كلام الله، نقلاً أم سواه، وظاهر السياق أنه من كلام الهدهد تفسيراً لثالث الشيطانات: ﴿وَزَيْنَ . . . فَصَدَّهُمْ . . . فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ وإن كان أيضاً كلامه تعالى في ذلك المسرح أم هو الذي يفسر الثالث بما فسر، فالمحتملان - إذاً - معنيان، وأعجب بعظة الهدهد في ذلك الموقف الحرج، ما ينقلها الله في القرآن ويصدقها، سبحانه الخلاق العظيم!

و﴿أَلَا﴾ هنا مشددة «أن لا» كعطف تفسير لـ «أعمالهم» ف﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إيجابية إذ ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وسلبيه ﴿أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ . . .﴾ و«أن» هنا تفسيرية ف«لا يسجدوا» نهى عن السجود لله بعد الأمر

بالسجود لغير الله، معاكسة المضادة لـ «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فهما خطوتان رئيسيتان من خطوات الشيطان في صده عن سبيل الله.

فكلمة التوحيد بادئة بالسلب وخاتمة بالإيجاب تأكيداً للإيجاب الذي هو خالص التوحيد.

وكلمة الإشراك بادئة بإيجاب العبادة لغير الله ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وخاتمة بالسلب ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ لا توحيداً ولا إشراكاً، توحيداً في السجود لغير الله!

و﴿الْخَبَاءُ﴾ مصدر بمعنى المفعول مبالغة في معناه وهو الاستتار الشديد، إذاً فهو المستور الأشد فلا تدركه الحواس الظاهرة ولا العقول الباطنة، فما تدركه الحواس بآثاره قد يخرج الإنسان في محاولات علمية، وما تدركه العقول بآثاره قد تخرجه في محاولات عقلية، وأما ﴿الْخَبَاءُ﴾ المستور عن كل الإدراكات، البعيد عن تناول العقل والعلم، فالله هو الذي يخرج في السماوات والأرض.

و﴿الْخَبَاءُ﴾ هنا يعم كل خبء، ١ - من المادة الأولية التي كانت خبأً في علم الله، ٢ وقدرته، فأخرجها إلى الوجود، ٣ - ثم زبد الأرضين ودخان السماوات المخرجان من تفجرة المادة الأولية، ٤ - ثم كل منهما من أصله الثاني: دخان السماء وزبد الأرض فكانت السماوات وكانت الأرضون، ٥ - ثم أخرج خبء الماء من السماء وخبء النبات من الأرض بماء السماء، ٦ - ثم كل خلق من شيء في كل منهما وفي تبدلات كيماوية وفيزيائية، مادة إلى طاقة وطاقة إلى مادة أماهيه و﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١)، ٧ - ثم الخواطر المخبوءة لكل عن كل فقد يخرجها الله تعالى بعباد مخلصين ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢)، ٨ - ثم النيات والعقائد والأقوال

(١) سورة الرعد، الآية: ١٦.

(٢) سورة طه، الآية: ٧.

والأعمال المخبوءة يوم الدنيا بعد مضيها حيث يخرجها الله يوم الأخرى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ...﴾^(١).

ولكن ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تختلف ظرفاً وسواه في هذه الثمانية، ففي الأربعة الأولى ليست السماوات والأرض ظرفاً لإخراج الخبء فإنهما هما الخبء فيهما على اختلاف مراحلهما، فالمعنى إذا «يخرج الخبء الكائن في السماوات والأرض» لا أنه يخرجهما فيهما.

ثم في الخامس والسادس هما ظرفان لإخراج الخبء حيث يخرج الله فيهما كلّ خبء من خلق جديد شيئاً من شيء، فيهما، وفي السابع ظرف الإخراج خاص لعباد الله الخصوص، وفي الثامن هو الآخرة، ف﴿يُخْرِجُ الْخَبَاءَ﴾ الكائن في السماوات والأرض يخرجهما بعد انفطارهما، في يوم الجزاء.

ومن الخبء وأخبأه وحي النبوة، فإنه غيب عمن سوى الله، يخرجهم عن غيب علمه في أم الكتاب إلى غيوب القلوب الرسالية ملائكية وبشرية، مراحل تسع من الخبء الذي يختص إخراجهم بالله دون سواه ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ﴾ من سر أو أخفى ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ فلا خبء لنا ولا غيب إلّا وهو خارج عنده دون إخراج، وإنما يخرج لنا الخبء في السماوات والأرض. وذلك هو ﴿اللَّهُ﴾ دون سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما هو، وهو لا سواه ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ السلطة الشاملة على كلّ خبء بإخراجه وإدراجه في مختلف مدارج الكون، دون عرش ملكة سبأ وسواها من ملوك لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

هذا العرش الضئيل الذليل الرذيل الذي يؤتى به قبل ارتداد طرف من مسافة شهر، وتأتي صاحبته إلى سليمان طائعة مستسلمة مسلمة، فأين عرش

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.